آفاق نجفية

مجلة فصلية مصورة تعنى بالدراسات والبحوث التراثية والمعاصرة

٨

تصدر عن العتبة العلوية المقدسة في النجف الأشرف

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

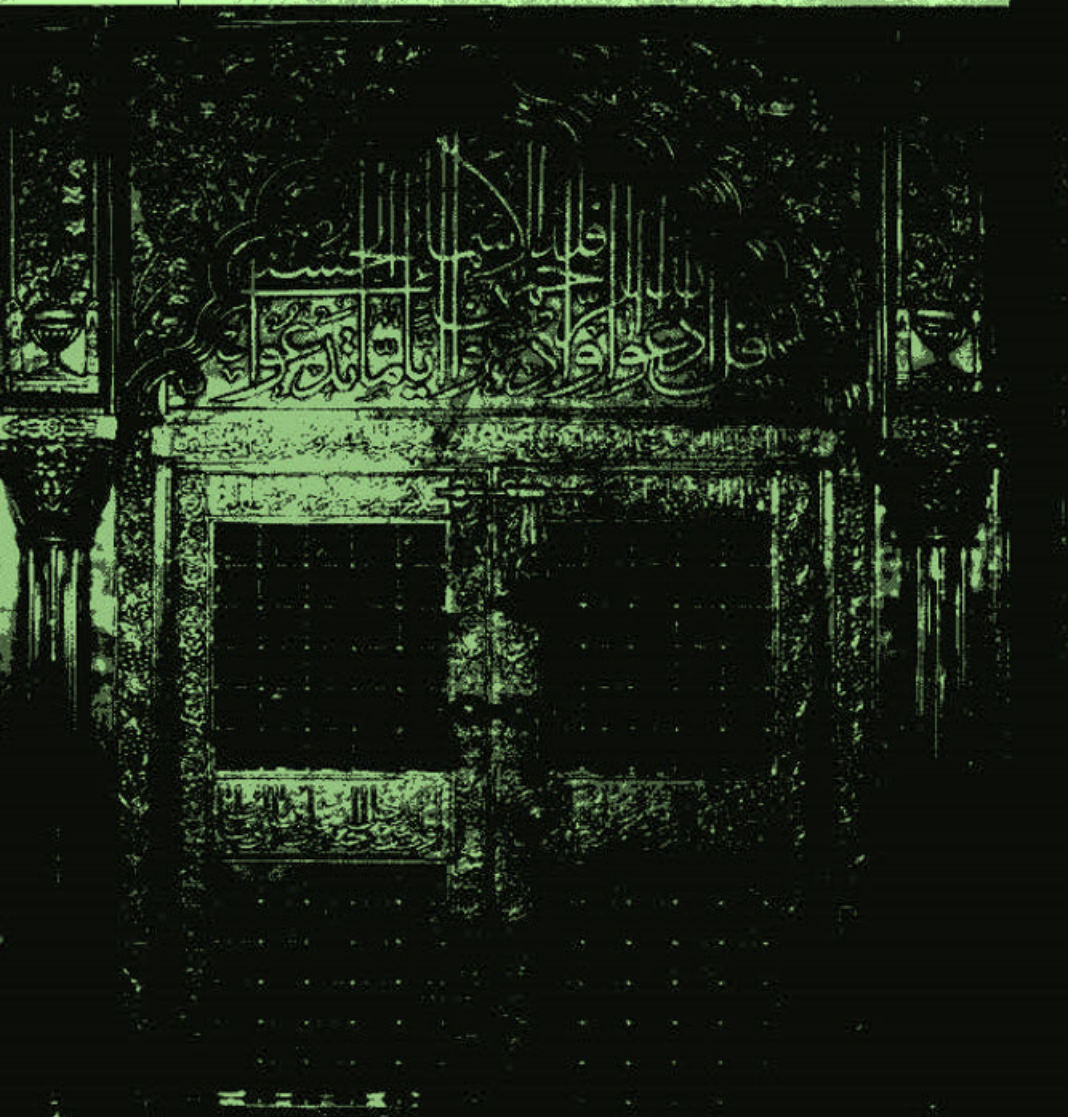

ذكريات
السيد محمد صادق بحر العلوم
عن ثورة النجف وثورة العشرين

اعداد: الأستاذ محمد سعيد الطريحي *

بينما أنا أتصفح بعض المجاميع والمصنفات المخطوطة بمكتبة أستاذنا العلامة الكبير والحجة المحقق السيد محمد صادق بحر العلوم في بيته العامر بالنجف الأشرف لفت نظري ما كتبه السيد حفظه الله من المذكرات عن الثورة النجفية الرائدة والثورة العراقية الكبرى، ضمن مجموعة خطية نفيسة مؤرخة عام ١٣٥٩هـ - ١٩٣٩م فاستأذنت السيد بنشرها فأذن لي ذلك وأجازني التصرف بتسلسل ما أورده من الأحداث، وسردت خلالها ما ذكره لي شفوياً من الذكريات التي لم ترد ضمن تلك المجموعة..

وآثرت نشر هذه المذكرات التي تتحدث عن أهم الانتفاضات الوطنية في تاريخ العراق الحديث ليطلع عليها من شاء أن يطلع إثباتاً للحقيقة التاريخية.

والعلامة بحر العلوم أشهر من أن يعرف لعلمه الجم وفكره الغزير ومصنفاته الكثيرة فهو بحق علم من أعلام التاريخ والأدب والتحقيق والتنقيب وحجة في البحث والترجمة والتأليف والكتابة، وقد شغل منصب القضاء الشرعي في العمارة والبصرة سنين عديدة وله مؤلفات معروفة في فنون وآداب شتى وهو من أولئك الرجال الأفذاذ الذين يغذون سير الحركة العلمية والأدبية في حاضرة النجف الأشرف.

---

* علامة كبير، أديب مؤرخ، محقق مثبت.

عن: جريدة العدل النجفية س١١ ع٢٥ و ٢٦ في ١٩٧٧/٦/١٨ ص٣ و ١٩٧٧/٦/٢٥ ص٢.

١٠

ثورة النجف

انتشرت في النجف في أخريات جمادى الثانية سنة ١٣٣٣هـ ولمرور شهر على واقعة الشعيبة منشورات تحض على مناهضة الحكومة العثمانية فاهتم لها أولياء الأمور في بغداد وبعثوا إلى النجف جيشاً مؤلفاً من ألف من المشاة والفرسان بقيادة عزت بك فاختفى الثوار عند وصوله إلى السواد وهم مجموعة يتألف بعضهم من البلط - الفارون من الجند - وفي البزيع الأخير من ليلة السبت ٨ رجب سنة ١٣٣٣هـ عادوا فنفذوا إلى النجف من جهة السور وانضم إليها طائفة من الأهلين فنشب في الصباح الثاني بينهم وبين الحامية العثمانية قتال شديد دام إلى عصر الاثنين ١٠ رجب سنة ١٣٣٣هـ وفيه أذعنت الحامية وجردت من السلاح بعد فقدان جماعة منها فيهم بعض الضباط وطلب القائد والقائممقام بهيج بك والمستخدمون الامان فأخذه لهم وأخرجهم به خازن المشهد وبعض الأماثل والصدور ثم أضرمت النار في دور الحكومة ونهبت أمتعة المستخدمين وتسلم النجفيون أزمة الحكم في البلدة وما كفى ذلك حتى صاروا يعملون على تقويض أركان الحكومة العثمانية من العراق فكان لهم ضلع في أكثر الحوادث التي حدثت بعد ذلك وأريد بها طرد الأتراك كحادثة كربلاء الأولى في منتصف شعبان سنة ١٣٣٣هـ وكارثة الحلة في منتصف شوال سنة ١٣٣٣هـ وحادثة كربلاء الثانية في ٧ رجب سنة ١٣٣٤هـ والتي هلك فيها خلق كثير وأشرفت البلدة على الخراب وما زال النجفيون يحكمون أنفسهم بأنفسهم سنتين أو ثلاث حتى حاولوا أخيراً أن لا يفسحوا بينهم مجالاً للإنكليز كما أتفق لهم مع الأتراك فقاموا بثورتهم الخطيرة على الإنكليز التي افتتحت بقتل - الكابتن مارشل - حاكم المدينة صباح الثلاثاء ٦ جمادى الثانية ١٣٣٦هـ بتاريخ - حصار وغلا - أو - قد ثبت الحصار - فحوصرت النجف أربعين يوماً بجيش إنكليزي تبودل إطلاق النار بينه وبين النجفيين أكثر تلك الأيام حتى تم الإنكليز القبض على بعض الثوار الأبرار فعوقب الكثير منهم بالشنق والنفي والتغريب.

(ويستطرد السيد بحر العلوم وهو يستعيد ذكرياته) فقد نظمت أيام الحصار على النجف أبياتاً قلتها على أثر شحة المواد الغذائية وقد بيع نتيجة لذلك في صباح يوم من أيام الحصار - لحم حمار - ولم ينكشف سره إلا بعد أيام قليلة فقلت مؤرخاً على سبيل المداعبة:

وفتنـــــة بـــــين المـــــلا فيهـــــا حمـــــار أكـــــلا

فبـــــالغري عـــــم الـــــبلا أرخ (حـــــصار وغـــــلا)

.٢.

الثورة العراقية

لما وضعت الحرب أوزارها سنة ١٣٣٧هـ وظهر زيف ادعاءات بريطانيا وأكاذيب مواعيدها وأخذت حكومة الاحتلال الغاشمة تجحف الشعب حقه وحملته من الضرائب ما لم يكن يعهده من قبل وطال أمد الانتظار بما وعدتها وشاهدت ضباط الاحتلال يسعون وراء سلب حقوقها وسحب استقلالها فعزمت على المطالبة بحقوقها المشروعة وتذكير الحكومة الاحتلالية بالوفاء بمواعيدها بصورة قانونية فقابلهم الضباط بالاضطهاد الشديد بلا سبب سوى عزم الثوار على إبطال مساعيها في استغلال الشعب فبدا الإنكليز يسعون في تضييع حقوقه وحريته كل السعي ومن ذلك أنهم أبرزوا لجماعة من الثوار أوراقاً باللغة الإنكليزية زاعمين أنها أوراق مالية وزراعية وطالبوا توقيع بعض الزعماء عليها ثم انكشف أنها أوراق اعتراف بالوصاية للإنكليز على العراق وضايقوا جماعة منهم جهارا على هذا الاعتراف وقد اشتد اضطهاد الضباط فحبسوا جمعاً من الثوار وساقوا جماعات من السادات والعلماء والأشراف ورؤساء القبائل بصورة فظيعة وهجموا على منازل بعض الشيوخ وأحرقوها وما فيها وقتلوا العديد من الرجال والنساء والأطفال، ومن الذين أسروهم الشيخ محمد رضا نجل آية الله الشيخ محمد تقي الشيرازي (قدس سره)، وحاول الإنكليز إرهاب من حسوا فيه المطالبة بحقوق الأمة المغصوبة فهددوه وتوعدوه إلا أن ذلك أزاد الثوار قوة وإصراراً ومنعة، وقد جرى في خلال أيام معدودة من سفك الإنكليز للدماء وتدمير المدن وهتك حرمة المعابد ما يبكي الإنسانية أخيرها أنهم دخلوا قرية الديلاب وفتشوا عن عائلة شيخ عاجز مسن عددها اثنا عشر من نساء وأطفال، فمزق الجند الإنكليزي أشلاء الشيخ وذبحوا الأطفال وبقروا بطون النساء.. ومنها أنهم دهموا قرية الحمزة (عليه السلام) وجعلوا بيوتها هدفاً لنيران مدافعهم حتى هدمتها وقد هرب سكان القرية بعد المقاومة هائمين على وجه الجزيرة رجالاً ونساء ولم يتخلف في القرية غير العجزة والأطفال الذين لا يزيدون عن سبعة عشر وما دخلت الجنود القرية حتى قتلت أولئك البؤساء وسلبت ما كان هناك من حلي وحلل وأموال وحيوانات وأتلفت كل ما يصعب نقله من أثاث البيوت ولم يكتفوا بهذه الفظائع الشنيعة حتى أصابوا حرم الحمزة (عليه السلام) بثلاث قنابل مدفعية خربت قسماً منها وخربت الجنود الحرم وقلعت شباك القبر والصندوق الذي فوقه وكسرتهما وخربت شبابيك النوافذ وكسرت جميع ما كان من المعلقات ولم يقتصروا على ذلك بل أحرقوا المصاحف الشريفة الموجودة في الحرم وفعلوا مثل ذلك

بقرية الخضر (عليه السلام) وبحرمه وقبره ودعوها قاعا صفصفا، ومنها أنهم ألقوا من الطيارات القنابل في المسجد الأعظم مسجد الكوفة حتى أصابت بعض العباد والزهاد فقطعت أشلائهم أربا أربا ثم أن الجند توجه إلى الكوفة وأخذ يقتل كل من يصادفه في طريقه فكان الجندي الإنكليزي يصادف الرجل فيضربه بالسنكي فيقطع أشلائه ولما شاهدت الجماهير العراقية من الحكومة المحتلة آذاناً صماء فلا تصغي لمطالبها المشروعة وأنها باشرت في إسكات الأمة وإرغامها بالقوة العسكرية امتشقت حسامها دفاعاً عن حريتها وحياتها قائلة:

فـإن لم يكـن غـير الأسـنة مركبـا فمـا حيلـة المـضطر إلا ركوبهـا

امتشقت ذلك في وجه المحتلين وأخرجتهم من كثير من البلاد في مدة قليلة في حين إن الأمة لم تستعد من قبل ولم تتأهب لذلك قد جعلت صدروها هدفاً لنيرانهم وكانت عاقدة النية على أن لا تترك قطعة من الأرض حتى تريق عليها دمائها الطاهرة وتلبسها حلة أرجوانية وأن لا تدعهم إلا على أشلاء متكدسة وكانت تصرخ قائلة:

أمـا انتـصار لـه معنـى الحيـاة لنـا أو الفنـاء هنـاك الخـير مغتـنم

وقد اغتنم الثوار مدافع فخمة ورشاشات كثيرة وبنادق غزيرة ومراكب ثلاثة كبيرة مدرعة بالحديد وكسر واحد منها بمدفع ضخم من المدافع التي اغتنمت من الإنكليز في شط الكوفة. ومرت أيام حتى إذا سنحت الفرصة للجيش الاحتلالي فدهم بخيله ومدافعه واتوبيلاته المدرعة وطياراته الغادرة وهي جهة الهندية كان ذلك في اليوم التاسع والعشرين من شهر محرم سنة ١٣٣٩هـ فعند ذلك قاومه فريق من الثوار سويعات من الزمن ولما رأت أنها لم تستطع مقابلة تلك الجيوش الجرارة والمدرعات الضخمة عبر الثوار جسر الهندية وألقوا النفط والحطب الكثير على الجسر وأوقدوه لئلا يعبر العدو ولما رأى ذلك الإنكليز أسرعوا بالعبور فقاومهم الثوار مقداراً من الزمن مع ما هم عليه من قلة في الرجال والمعدات وتغلب الجيش الإنكليزي الغاشم فتبعهم بالقنابل والمدافع إلى أن قتل منهم جمعاً كثيراً حتى أن بعض جثث الثوار بقيت عند العدو لا يمكنهم الوصول إلى استنقاذها فبقيت أياماً ملقاة على الأرض ولما عبر الجيش الإنكليزي الجسر ودخل لبلدة طويريج أخذ يهدم ويحرق وينهب ويقتل كل من يراه. وصار الناس يقصدون المشهدين الشريفين الغروي والحائري طلباً للأمان بعد أن كثر القتل الذريع وعند ذلك قال الشيخ محمد علي بن الشيخ يعقوب النجفي الحلي.

لم تـأمن النـاس مـن جـور العـدا أبـدا حتـى اسـتجارت بحـامي الجـار أشـتاتا

وهل سوى حيدر الكرار كهف حما تـأوي لـه النـاس أحيـاء وأمواتـا

وقال أيضاً في نفس الغرض ويندب بها المهدي ـ عج ـ:

فمـن مبلـغ المهـدي عنـا شـكاية تكـاد لهـا شـم الجبـال تدكـدك
أمـام الهـدى حتـام تقـضي ولم تـزل تـرى حرمـات الله في الأرض تهتـك
أترضـى بـأن ينهـي ويـأمر ظـالم علينـا وفي التوحيـد يحكـم مـشرك
وقـد أصـبح القـانون ينفـذ حكمـه بنـا وكتـاب الله يلغـى ويـترك
وتلـك دمـاء الـشيعة اليـوم أصـبحت تطـل بأسـياف الـضلال وتـسفك

ولا ننسى ما فعله الإنكليز من جرائم وحشية واستهانتهم بالأماكن المقدسة ومن ذلك دخولهم إلى مسجد الكوفة ومسجد السهلة ـ بمدينة الكوفة ـ بكلابهم وخيولهم وضربوا اخبيتهم وأبنيتهم فيها وهدموا بعض الأماكن منهما وأرادوا الدخول إلى ضريح مسلم بن عقيل ـ ع ـ ولكن منعهم الجند الإسلامي الذي كان معهم وبقوا في المسجدين أياماً عديدة ثم خرجوا وكل هذا رغماً منهم لآناف المسلمين علماً منهم أن لا شيء أثقل للمسلمين من دخول الكفار لمعابدهم وربما كانوا يصرحون بذلك.

وللشيخ اليعقوبي قصيدة رائعة منها:

إلى م تبقـى يـا أمـام الهـدى شـيعتكم بالـضيم والذلـه
أو بعـض مـا قـد حملـت مـن أذى في يـذبل لم يـستطع حملـه
فأكبـد ذابـت بنـار الجـوى وادمـع كالغيـث منهلـه
أكـل يـوم للعـدى حملـة علـى الهـدى تتبعـه حملـه

ثم توجه قسم من الجيش الإنكليزي إلى بلدة كربلاء تتقدمها الطائرات فحاصرتها حصاراً شديداً وأدارت عليها خارج البلدة إشراك الحديد ومنعت الداخل والخارج وأخذت تهدم كل دار ورجعت إلى رؤساء الثورة وهدمت الكثير من بيوت الأبرياء وقبضت على ما يقرب من خمسة عشر رجلاً ما بين عالم وشريف وريس وضيقت على أهالي البلد الحصار حتى استلمت ذلك منهم وطال إلى مدة ستة أيام ثم إنها توجهت إلى بلدة النجف فحاصرتها حصاراً أشد من حصار كربلاء وفعلت بها مثل ما فعلت بها وأشد وكان دخولهم للنجف يوم الرابع من شهر ربيع الأول وضاق عليهم الأمر وحالوا بينهم وبين الماء حتى ينجز ما راموا إليه

وحصل ما أرادوا إذ قبضوا على بعض رؤساء الثورة ومنهم الشيخ الفاضل حسن نجل الشيخ الشهير بشيخ الشريعة والشيخ الجليل جواد آل صاحب الجواهر وكان أول ورود الجند الإنكليزي إلى النجف يقدمها عشر طيارات فقال في ذلك الشاعر السابق الذكر:

إلا مـــا لطـــائرة الإنكليـــز تحـــوم علـــى قبـــة المرتـــضى
ومـــا لجنـــودهم ضـــيقت علـــى الأبريـــاء رحـــاب الفـــضا
ســيجري عليـهم كمـا قـد جـرى علـى الـروس مـذ دخلـوا للرضـا

طال الحصار إلى مدة أربعة وعشرين يوماً حتى رفع يوم الجمعة الموافق للثامن والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ١٣٣٩هـ وللشيخ المذكور يندب المهدي ـ عج ـ ويذكر الحصار ويشكو إليه جور الأعداء الإنكليز وظلمهم من قصيدة طويلة:

إلا أيهـــا الحـــادي مجـــداً علـــى وجنـــاء تـــنفح في ســـراها
إذا مـــا جئـــت ســـامراء فـــاحبس قلوصـــك عنـــدها والـــثم ثراهـــا
وخـذ للغائـب المحجـوب شـكوى تكـاد الهـضب تنسف مـن شـجاها
وقـــل يـــا حجـــة البـــاري أغثنـــا فقـــد فتكـــت بـــشيعتكم عـــداها

وقد افتقدنا في هذه الأيام الشيخ الرباني الشيخ محمد تقي الشيرازي الحائري عشية الأربعاء الليلة الثالثة من شهر ذي الحجة سنة ١٣٣٨هـ وفقد عماد الشريعة خاتمة العلماء الشيخ فتح الله الشهير بشيخ الشريعة في يوم الثامن من شهر ربيع الثاني سنة ١٣٣٩هـ.

مجموعة من مقاتلي النجف ابان فترة الاحتلال البريطاني
الحاج عطيه أبو كلل يتوسط أولاده و اخوته و أبناء اخوته و عدد من اصحابه و خلفهم الخدم في داره (الدرعية)

الأسرى الأكثير في خان الشيلان - النجف